

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾﴾

[الشعراء: 132 - 136]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَاتِ لِمَا قَبْلَهَا:

مطالبتهم
بالتَّقوى بعد
التَّوْبِخِ والتَّذْكِيرِ
بنعم الله تعالى
عليهم

في الآيات السابقة أمر رسول الله ﷺ قومه بتقوى الله موبِّخاً إيَّاهم على ما هم فيه من العبث بما مكنَّهم الله فيه، فبنوا القصور الشاهقة، وأنشؤوا الأعلام على المرتفعات، وأوتوا من القوة ما كان سبباً في بطشهم وقسوتهم بالناس، فناسب هنا أن يُعيد عليهم الأمر بتقوى الله وطاعة رسوله؛ لأنَّ الله سبحانه هو المنعمُ عليهم بالأنعام والبنين والجنَّات والعيون، فكان ذلك قوَّةً حياتيَّةً واقتصاديةً عظيمةً مضافةً إلى قوتهم وسطوتهم.

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿أَمَدَّكُمْ﴾: (مَدَّ) أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى جَرِّ شَيْءٍ فِي طَوْلٍ، وَاتِّصَالِ شَيْءٍ بِشَيْءٍ فِي اسْتِطَالَةٍ، كَمَا أُطْلِقَ عَلَى بَسْطِ الْجِسْمِ وَتَطْوِيلِهِ، ثُمَّ اسْتُعِيرَ لِلزِّيَادَةِ مِنْ شَيْءٍ، تَقُولُ: مَدَدْتُ الشَّيْءَ أَمْدَهُ مَدًّا⁽¹⁾، وَمَدَّ اللَّهُ الْأَرْضَ يَمُدُّهَا مَدًّا: بَسَطَهَا وَسَوَّاهَا⁽²⁾، وَالْمَدَدُ وَالْإِمْدَادُ: مَا أَمَدَدْتَ بِهِ قَوْمَكَ فِي حَرْبٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ طَعَامٍ أَوْ أَعْوَانٍ⁽³⁾، وَالْمَدُّ فِي الْآيَةِ مَقْصُودٌ بِهِ الْبَسْطُ وَالسَّعَةُ.

(2) ﴿وَجَنَّاتٍ﴾: (جَنَّ) أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ السَّتْرُ وَالتَّسْتُرُ، وَالْجَنَّةُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مد)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 82/ 14.

(2) ابن منظور، لسان العرب: (مدد).

(3) الأزهري، تهذيب اللغة: (مد).

ما يَصِيرُ إليها المُسلمونَ في الآخرة، وهي ثوابٌ مستورٌ عنهم اليوم⁽¹⁾، والجنةُ أيضًا: البُستان، ويُقالُ: هي النَّخل الطَّوال، وكلُّ شَجَرٍ مُتكاثٍ يسترُ بعضه بعضًا؛ فهو جَنَّةٌ، وقيل: لا تكون في كلام العرب جَنَّةٌ إلَّا وفيها نخلٌ وعِنَبٌ، وإلَّا فهي: حديقة⁽²⁾، والمرادُ بالجنَّاتِ في الآية: الحوائِطُ التي تُشَجَّرُ بالنَّخيلِ والأعنابِ⁽³⁾.

(3) ﴿وَعُيُونٌ﴾: (عين) أَصْلٌ واحدٌ صحيحٌ يدلُّ على عُضْوٍ بِهِ يَبْصُرُ، وَيُنْظَرُ، ثُمَّ يُشْتَقُّ منه، قال الخليل: العَيْنُ النَّاظِرَةُ لكلِّ ذي بَصَرٍ، والعَيْنُ تُجْمَعُ على: أَعْيُنٍ وَعُيُونٍ وَأَعْيَانٍ⁽⁴⁾، وَيُسْتَعَارُ العَيْنُ لمعانٍ هي موجودة في الجارحة بنظراتٍ مختلفةٍ، واستُعيرَ للثَّقْبِ في المِزادة تشبيهًا بها في الهيئة، وفي سيلان الماء منها، فاشتقَّ منها: سقاء عَيْنٍ وَمَعَيْنٍ؛ إذا سال منها الماء، ويُقال لمنبع الماء: عَيْنٌ تشبيهًا بها لما فيها من الماء، ومن عَيْنِ الماء اشتقَّ: ماءٌ مَعَيْنٌ، أي: ظاهرٌ للعيون، وعَيْنٌ، أي: سائلٌ⁽⁵⁾، والمقصودُ بالعيون في الآية: جَمْعُ عَيْنٍ، وهو ثَقْبٌ يَخْرُجُ منه الماءُ من الأرض.

(4) ﴿يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: أصلُ اليوم: الواحدُ من الأيام، ثُمَّ يستعيرونه في الأمرِ العظيم، ويقولون: نَعَمْ فلانٌ في اليوم؛ إذا نَزَلَ⁽⁶⁾، واليومُ أيضًا: مقدارٌ من الزَّمانِ، أَوَّلُهُ طُلُوعُ الشَّمْسِ إلى غُرُوبِها⁽⁷⁾، وأُطْلِقَتِ الأيامُ على ما يقعُ فيها من الأحداثِ العظيمة، والمرادُ بـ ﴿عَذَابٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: يجوزُ أن يكون عذابًا في الدُّنيا توعدُّهم اللهُ به على لسانه، ويجوزُ أن يُريدَ به عذابُ يومِ القيامةِ، أي: عظيم ما يحصلُ فيه من الأهوال⁽⁸⁾.

(5) ﴿سَوَاءٌ﴾: أصلُ (سوي) يدلُّ على استقامةٍ واعتدالٍ بَيْنَ شَيْئَيْنِ، يُقالُ: هذا لا يُساوي كذا، أي: لا يُعادلُهُ، وَفُلانٌ وَفُلانٌ على سِوِيَّةٍ مِنْ هذا الأمرِ، أي: على سِوَاءٍ⁽⁹⁾، فالسَّوَاءُ:

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جن).

(2) الخليل، العين، وابن عباد، الحيط، وابن سيده، المُحْكَم: (جن).

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 135/19.

(4) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (عين).

(5) الراغب، المفردات، والشَّمين، غمدة الخفايا: (عين).

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (يوم).

(7) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والزاغب، المفردات: (يوم).

(8) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 170/19.

(9) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (سوى).

العدل، قال الله تعالى: ﴿فَأَنذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ [الأنفال: 58]، أي: على حكم العدل والإنصاف⁽¹⁾، وسواء الشيء: وسطه؛ لاستواء المسافة إِلَيْهِ مِنَ الْأَطْرَافِ⁽²⁾، ومنه قوله تعالى: ﴿فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الصفّات: 55]، وسواء الشيء: غيره⁽³⁾، والمقصود بـ﴿سَوَاءٍ﴾ في الآية الكريمة: متساوٍ عندنا، أو عظمت أم لم تعظ؟

6 ﴿أَوْعَظْتَ﴾: أصل (وعظ) يدلُّ على التَّخْوِيفِ، وَالْعِظَّةُ: هي الاسمُ منه، قَالَ الْخَلِيلُ: هو تذكيرُك إِيَّاهِ الْخَيْرَ وَنَحْوَهُ مِمَّا يَرِقُّ لَهُ قَلْبُهُ⁽⁴⁾، وَالْوَاعِظُ: النَّاصِحُ⁽⁵⁾، وَيَأْتِي الْوَعْظُ بِمَعْنَى الْأَمْرِ بِالطَّاعَةِ وَالتَّوَصُّيَةِ بِهَا، فَيُقَالُ: وَعَظَهُ؛ إِذَا أَمَرَهُ، وَوَصَّاهُ بِالطَّاعَةِ، وَاتَّعَظَ فُلَانٌ، أَيُّ: قَبِلَ الْمَوْعِظَةَ، وَكَفَّ نَفْسَهُ عَنِ الْخَطَا⁽⁶⁾، وَالْمَقْصُودُ بِالْوَعْظِ فِي الْآيَةِ: كَلَامٌ فِيهِ نَهْيٌ وَتَحْذِيرٌ مِنْ مَكْرُوهٍ وَتَرْغِيبٌ فِي ضِدِّهِ.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

بعد نهى هودٍ قومَه عن تلك الرذائل؛ أمرهم بتقوى الله وطاعته وشكره على نعمه، فقال: وَاتَّقُوا عِقَابَ اللَّهِ بِطَاعَتِكُمْ إِيَّاهِ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَنَهَاكُمْ عَنْهُ، فَابْتَعدُوا عَنِ اللَّعْبِ وَاللَّهْوِ وَظَلَمِ النَّاسِ وَالْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَاحْذَرُوا سَخَطَ مَنْ أَعْطَاكُمْ مِنْ عِنْدِهِ مَا تَعْلَمُونَ مِنَ الْأَنْعَامِ وَالْبَنِينَ وَالْبَسَاتِينِ وَالْأَنْهَارِ، تَتَمَتَّعُونَ بِهَا كَمَا شِئْتُمْ حَتَّى صَرْتُمْ مُضْرِبَ الْأَمْثَالِ فِي الْغِنَى وَالثَّرْوَةِ وَالزُّخْرَفِ وَالزَّيْنَةِ، فَاجْعَلُوا كِفَاءَ هَذَا عِبَادَةً مَنْ أَنْعَمَ بِهَا وَتَعْظِيمَهُ وَحْدَهُ.

(1) السمين، عمدة الحفاظ: (سوى).

(2) ابن منظور، لسان العرب: (سوى).

(3) الجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات: (سوى).

(4) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (وعظ).

(5) الزبيدي، تاج العروس: (وعظ).

(6) الأزهرى، تهذيب اللغة، وابن سيده، للحكم، وابن منظور، لسان العرب: (وعظ).

مِهْمَةُ الرُّسُلِ
وَالْأَنْبِيَاءِ تَبْلِيغُ
الرَّسَائِلِ
وَمَحَاجَّةُ الْكُفَّارِ

❖ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

بلادة العطف في قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَمَدَّكُمْ﴾:

الواو عاطفة في قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾؛ إذ بين سبب أمرهم بتقوى الله كونه سبحانه أمدهم بما يعلمون، والحقيقة أن "الواو تقتضي تحقيق الوصف المتقدم، وتقريره يكون في الكلام متضمنًا لنوع من التأكيد من مزيد التقرير"⁽¹⁾.

سِرُّ إعادة فعل التقوى:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾، أي: بالذي تعرفونه من النعم⁽²⁾، وأعاد التقوى؛ لأنها هي حسيلة الإيمان ونتاجه، فلا تقوى بلا إيمان، فذكر هودُ التقوى في أربعة مواضع من كلامه، فكانت أول ما خاطب به قومه: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾، وعرفهم بأنه رسول الله الأمين في رسالته، ثم قال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾؛ لأن كونه رسولاً لهم أميناً على الرسالة يجعله حقيقاً بأن يطيعوه، ويؤمنوا به، وبعد أن أنكر عليهم أعمالهم؛ أمرهم الثالثة بتقوى الله، فقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾، وكرر في الرابعة: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾، فذكر عظيم فضل الله عليهم، وأن قوتهم وجبروتهم هذا نابغ عن النعم العظيمة التي وهبها الله لهم.

بلادة التعبير بالاسم الموصول ﴿الَّذِي﴾:

في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ ١٣٢ ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمِ وَبَيْنَ ١٣٣ وَجَنَّتِ وَعُيُونِ﴾، لم يأت الخطاب على صيغة (واتقوا الله) أو (واتقوا ربكم)؛ ليدل على أن الذي أنعم عليكم هو الذي سيُعذِّبكم؛ إن لم تؤمنوا، وبذلك أخرجهم؛ ليؤمنوا بمن أنعم عليهم هذه النعم، ثم ختم الآية بقوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾

الدعوة إلى
تقوى من تفضل
عليهم بالحياة
الترفة

(1) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد: 1/ 191.

(2) الألوسي، روح المعاني: 10/ 107.

عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ»، وفي الآية مقابلةً بين حال النعيم وحال العذاب العظيم⁽¹⁾، وفائدة الاسم الموصول **«الَّذِي»** هو بيان فضل الله عليهم في تخصيصهم بهذه النعم التي لا تخفى، ولو نُزعت منهم؛ لانتهدت عظمتهم، وفي ذلك تعريضٌ بهم لإنكارهم عظيم فضل الله عليهم.

إِثَارُ التَّعْبِيرِ بِالْمَاضِي «أَمَدَّكُمْ» مَادَّةٌ وَصِيغَةٌ:

توالي النعم على قوم هود

دلّ الفعل الماضي على الأفضال السابقة لله سبحانه عليهم مع ما هم فيه من البطر والتّرف والغفلة عن الله، فذكرهم ببعض تلك الأفضال وما أمدهم به من الرّزق والخير ومقوّمات الحياة وما يضمن لهم راحة وسعادة، فدلّ فعل الإمداد على النعم التي تأتيهم تترى؛ كأنما قد انسابت عليهم من كل جانب.

بلاغة الإجمال في قوله: «أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ»:

للبلاغة في بيان كثرة النعم

بالغ هود ﷺ في تنبيه قومه إلى نعم الله، حيث أجملها، ثم فصلها مستشهداً بعلمهم، وذلك أنّه أيقظهم من غفلتهم عنها حين قال: **«أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ»**⁽²⁾، ولعلّ من عظيم نكتة الإجمال الدّلالة على كثرتها، فهي نعم لا تُعدّ، ولا تُحصى، قال تعالى: **«وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا»** [النحل: 18]، فأجملها؛ ليحصرها جميعاً بعلم النّاس، وما يمكن أن يتذكّروه، أو يعدّوه من تلك النعم، ثم ذكر لهم أمثلة منها، فقال: **«أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمِ وَبَيْنَ (١٣) وَجَنَّتِ وَعُيُونٍ»**.

معنى (الباء) و(ما)، وإيثار (العلم) مَادَّةٌ وَصِيغَةٌ:

اختلاط حياتهم بالنعم

في قوله: **«أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ»** أفاد حرف (الباء) الإلصاق والاختلاط، فكأنّما النعم قد أُلصقت بهم، وخالطت حياتهم، فلا تُعرف حياتهم إلّا بها، وأصبحت النعم معروفةً كحقٍّ من حقوق الحياة عندهم، و(ما) بمعنى (الذي)، أي: بالذي تعرفونه من النعم؛ ف(ما)

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 331.

(2) الزمخشري، الكشاف: 3/ 331، والتيسابوري، غرائب القرآن: 5/ 280.

موصولة، والعائد محذوفٌ والعلم بمعنى المعرفة⁽¹⁾، والاستشهاد بعلمهم في قوله: ﴿أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ دلٌّ على علمهم برزقِ الله وفضله عليهم⁽²⁾، فأوكل معرفة تلك النعم إلى علمهم؛ دالاً بذلك على المبالغة في كثرتها؛ إذ إنهم مهما عدّوا من النعم؛ فلن يحصوها.

بلادة الفصل في قوله: ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمٍ﴾:

قوله: ﴿وَأَتَّقُوا آلَ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي عَصَى إِيَّاهُ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْغَايِبِينَ﴾ ^(٣٢) **﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمٍ﴾**، فُصِّلَتِ الجملة الثانية عن الأولى؛ لأنَّ قوله تعالى: ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمٍ﴾: مُفسَّرة لما قبلها⁽³⁾، أو لأنَّ الثانية بمنزلة بدلٍ البعض؛ وأنَّ ما يعلمونه يشمل ما في الجملة الثانية من النعم الأربع، وغيرها من سائر النعم، ومن ثمَّ لم يعطف بين الجملتين بالواو، لقوَّة الرِّبط بينهما، فبين الجملة والتي قبلها كمالُ اتِّصال، وقد خصَّ هذه النعم بالقول؛ لأنَّه سبقها بقوله: ﴿أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾؛ وهذه النعم يعلمها كلُّ واحد، فهي من النعم العظيمة الظاهرة للناس جميعاً.

دلالة ترتيب العطف ﴿بِأَنْعَمٍ وَبَيْنَ ٣٢ وَجَنَّتِ وَعُيُونٍ﴾:

في قوله: ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمٍ وَبَيْنَ ٣٢ وَجَنَّتِ وَعُيُونٍ﴾ بدأ بذكر الأنعام؛ لأنها تحصل بها الرِّياسة والقوَّة على العدو، فالغنى الذي لا تكمل اللذة بالبنين وغيرهم في الأغلب إلَّا به، والأنعام أحبُّ الأموال إلى العرب، ثمَّ ذكر البنين؛ لأنَّهم مُعِينوهم على الحفظ والقيام عليها، ومن ذلك يُعلم وجهُ قرنهما⁽⁴⁾، ووجهُ قرنِ الجنَّات والعيون في قوله تعالى: ﴿وَجَنَّتِ وَعُيُونٍ﴾ ظاهر، فالجنَّات يحصل بها التَّفكُّه والتَّزُّه، ﴿وَعُيُونٍ﴾ بمائها يكمل النِّماء⁽⁵⁾، وكذا وجهُ قرنهما مع الأنعام⁽⁶⁾.

ذَكَرَ لَهُمْ بَعْضُ
النَّعْمِ الَّتِي
يَعْلَمُونَهَا

بِالْأَنْعَامِ
تَحْصُلُ الرِّيَاسَةُ
وَالْغِنَى،
وَبِالْبَنِينَ
حَفَظَهُمَا،
وَبِالْجَنَّاتِ
وَالْعُيُونِ يَحْصُلُ
التَّفَكُّهُ

(1) الألوسي، روح المعاني: 10/ 107.

(2) الرَّمْخَشَرِيُّ، الكَشَاف: 3/ 331.

(3) العَكْبَرِيُّ، التَّبْيَان في إعراب القرآن: 2/ 999.

(4) الرَّمْخَشَرِيُّ، الكَشَاف: 3/ 331.

(5) التَّيسَابُورِيُّ، غرائب القرآن: 5/ 280.

(6) الألوسي، روح المعاني: 10/ 108.

موقعُ جملة: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ ودلالته:

كفرانُ النعمة
مُستتبعُ بزوالها

قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ استئنافٌ تعليليٌّ، أي: إِنِّي أَخَافُ عليكم - إن لم تتَّقُوا، وتقوموا بشكر هذه النعم - ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ في الدنيا والآخرة، فإنَّ كفران النعمة مُستتبعٌ للعذاب، كما أنَّ شكرها مُستلزم لزيادتها، قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ٧﴾ [إبراهيم: 7]، وعُلِّلَ بما ذكر دون استلزام التَّقوى للزيادة؛ لأنَّ زوال النعمة يُحزن فوق ما تسرُّ زيادتها، ودرءُ المضارِّ مقدَّمٌ على جلب المنافع⁽¹⁾.

سرُّ تكرار الفعل: ﴿أَمَدَّكُمْ﴾:

أعظمُ الإمدادِ
للكفار ما كان
لدنياههم مالا
وولدا

في قوله: ﴿أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ٣٣﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمٍ وَبَيْنَ أعاد فعل الإمداد مبالغةً فيما رزقهم الله تعالى من الأفضال، وما دلَّ عليه فعل الإمداد من تتابع النعم، وتعدادها، وهذا ما يُسمَّى بـ التَّكرار أو التَّتبُّع، والإرداف أن يريد المتكلم الدلالة على معنى، فيترك اللفظ الدالَّ عليه الخاص به، ويأتي بلفظ هو ردفه وتابع له، فيجعله عبارة عن المعنى الذي أراد⁽²⁾.

وعلى مذهب بعض النحويين؛ فإنَّ قوله تعالى: ﴿بِأَنْعَمٍ﴾ بدلٌ من قوله سبحانه: ﴿بِمَا تَعْلَمُونَ﴾، وأُعيد العامل كقوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ٣٤﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا [يس: 20 - 21]، والأكثرُونَ لا يجعلون مثل هذا أبداً، وإنَّما هو عندهم من تَكَرُّر الجُمْل، وإن كان المعنى واحداً، ويُسمَّى التَّتبُّع، وإنَّما يجوز أن يُعاد العامل عندهم؛ إذا كان حرفٌ جرٌّ دون ما يتعلَّق به، نحو: مررتُ بزيد بأخيك⁽³⁾.

(1) الألوسي، روح المعاني: 108 / 10.

(2) العسكري، كتاب الصناعتين، ص: 350، وسماه ابن رشيق التتبع، يقول: "ومن أنواع الإشارة: التتبع، وقوم يسمونه التجاوز، وهو أن يبرد الشاعر ذكر الشيء، فيتجاوز، ويذكر ما يتبعه في الصفة، وينوب عنه في الدلالة عليه". يُنظر: العمدة: 313 / 1.

(3) الألوسي، روح المعاني: 108 / 10.

ويجوز أن يكون ﴿أَمَدَّكُمْ﴾ الثاني بدلاً من ﴿أَمَدَّكُمْ﴾ الأول، وقد يكون من إبدال الجملة من الجملة، وتكون الثانية صلة ﴿الَّذِي﴾ كالأولى، ويجوز أن تكون الثانية شارحة للأولى⁽¹⁾.

بلغة الفصل في قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾:

قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ بين الجملتين كمال الانقطاع؛ لاختلاف الخبرية والإنشاء، واللفظ والمعنى، ودلَّ (إِنَّ) على تأكيد معنى الخوف، فإنه سبحانه كما هو قادر على إعزاز الناس؛ فهو قادرٌ على إذلِّهم، وقدرته على رزقهم دليلٌ على قدرته سبحانه على منع الرِّزْق عنهم، وفائدة ذلك أنه انتقل من تعداد عظيم النعم إلى تخويفهم من نقمة الله وعذابه، فالقادر على الإنعام قادرٌ على زوال النعم، وإبدالها عذاباً ونقمةً.

إثاّر التعبير بالخوف مادةً وصيغةً:

ختم هودٌ خطابه لقومه بتخويفهم قائلاً: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾؛ تنبيهاً على أنه كما قدّر أن يتفضّل عليهم بهذه النعم الجسام، فهو قادرٌ على عذابهم، فيكون فيه مزيدٌ حثٌّ على التقوى وكمال تنفر عن العصيان⁽²⁾، فدلَّ التَّخْوِيفُ على تقوية الشُّعُورِ الدَّاخِلِيِّ وتحريك ما في نفوسهم من بقيّة الخير، وهو نفسه الشُّعُورِ الدَّاخِلِيِّ الذي خاطبه نوحٌ ﷺ في قومه، بقوله: ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ الذي يفيد الرجوع إلى الحسِّ الدَّاخِلِيِّ للفرد، فالتَّخْوِيفُ يأتي من جهة الشُّعُورِ الدَّاخِلِيِّ بخطر ما هم عليه من الفتن.

غرض تقديم الجارِّ والمجرور: ﴿عَلَيْكُمْ﴾:

في قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ قدّم الجارِّ والمجرور ﴿عَلَيْكُمْ﴾ لفائدة التَّخْصِيس؛ لأنَّ ما أنتم فيه من

التَّخْوِيفُ من
زوال النِّعم
وإبدالها عذاباً
وسخطاً

الخوفُ شعورٌ
داخليٌّ ناتجٌ عن
خطاب النَّفسِ

التَّخْوِيفُ من
إصابتهم بعذاب
الله تعالى

(1) الزركشي، البرهان: 2/ 460.

(2) التيسابوري، غرائب القرآن: 5/ 280.

النَّعْمَة، مع ما أنتم عليه من الكبر وعدم الإيمان؛ إذ يُنبئ ذلك بوقوع غضب الله عليكم والإنذار بعقوبته.

دلالة التعبير بالعذاب:

التَّخْوِيفُ من
أصناف العذاب
في الدُّنْيَا والآخِرَةِ

العذابُ هو الإيْجَاعُ الشَّدِيدُ، وقد عَذَّبَهُ تَعْذِيبًا، أَكْثَرَ حَبْسَهُ فِي الْعَذَابِ، وَاخْتَلَفَ فِي أَصْلِهِ: فَقِيلَ: تَرَكُ الْمَأْكَلَ وَالنَّوْمَ، فَالتَّعْذِيبُ فِي الْأَصْلِ هُوَ حَمْلُ الْإِنْسَانِ أَنْ يُعَذَّبَ، أَيْ: يَجُوعُ، وَيَسْهَرُ، وَقِيلَ: أَصْلُ التَّعْذِيبِ إِكْثَارُ الضَّرْبِ بِعَذَابِ السَّوْطِ، أَيْ: طَرْفُهَا، فَالتَّعْذِيبُ هُوَ الضَّرْبُ⁽¹⁾، فَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْمَعَانِي كُلِّهَا مَا يُنَاسِبُ حَالَ عَادِ قَوْمِ هُودٍ؛ إِذِ إِنَّ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِمَّا يُسْتَلَذُّ بِهِ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ، فَحَرِيٌّ مِنْهُمْ أَنْ يَحَافِظُوا عَلَيْهَا، وَلَوْ أَخَذَتْ مِنْهُمْ؛ لَكَانَ ذَلِكَ عَذَابًا عَظِيمًا عَلَيْهِمْ.

الكناية في قوله: ﴿يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾:

تخويفهم من
أخطر يوم يمكن
أن يواجههم

كُنِيَ هُودٌ ﷺ بقوله: ﴿يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ عن يوم القيامة⁽²⁾، فَذَكَرَ الصِّفَةَ، وَأَرَادَ الْمَوْصُوفَ، فَالْجُمْلَةُ كَنَاءَةٌ عَنِ الْمَوْصُوفِ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، أَوْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ كَنَاءَةً عَنِ يَوْمٍ يُهْلِكُونَ فِيهِ جَمِيعًا، لِضَلَالِهِمْ وَإِصْرَارِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ، وَهَذَا أَعْظَمُ حَدِيثٍ يُمْكِنُ أَنْ يَتَصَوَّرَهُ قَوْمُهُ، وَمَا إِهْلَاكُ قَوْمِ نُوحٍ مِنْهُمْ بِبَعِيدٍ.

بلاغة المجاز العقلي: ﴿يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾:

تعظيم اليوم
دون تعظيم
العذاب

يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي سَيَصِيبُهُمْ فِيهِ الْعَذَابُ الْعَظِيمُ، فَقَوْلُهُ: ﴿يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ - بَدَلًا عَنْ (عَذَابٍ عَظِيمٍ) - هُوَ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ عِلَاقَتُهُ زَمَانِيَّةٌ⁽³⁾، وَفَائِدَةُ هَذَا الْمَجَازِ أَنَّ تَعْظِيمَ الْيَوْمِ أَبْلَغُ مِنْ تَعْظِيمِ الْعَذَابِ.

(1) الرَّاغِبُ، الْفُرْدَاتِ، ص: 327.

(2) الرَّمْخَشَرِيُّ، الْكَشَافُ: 3/ 331.

(3) الرَّمْخَشَرِيُّ، الْكَشَافُ: 3/ 331.

دلالة الاستئناف في: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا﴾:

جملة ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا﴾ لا محل لها استئنافيّة⁽¹⁾؛ لأنها بمنزلة جواب عن سؤال افتراضي يفهم من الجملة الأولى، فاقتضى ذلك فصلًا بينهما، كما يفصل الجواب عن السؤال، فقوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، يثير سؤالاً: لم هذا الخوف على قومه مع أنه لم يذمهم في شيء يذكر، وما جاء آنفاً هو من قبيل استمتاعهم بنعم الله عليهم، عبثاً دون شكر المنعم، فيأتي الجواب بقولهم: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوْعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَعِظِينَ﴾؛ إذ عُلِمَ سببُ الخوفِ عليهم من عذاب الله، وعُلِمَ حجم إعراضهم وصدّهم عن الإيمان بالله والقبول برسالته سبحانه، وإنَّ النَّصَّ القرآنيَّ قد أوجز في حذف جمل عديدة عُلِمَ محتواها ممّا وثقه عليهم بقولهم: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوْعَظْتَ﴾ الآية.

عود ضمير فعل القول ودلالته:

في قوله: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا﴾ يعود الضمير في فعل القول على القوم المستكبرين منهم، من الذين بيدهم الحل والعقد، والذين لهم الكلمة في الأرض، فهؤلاء قد أخذتهم العزة بالإثم، واستكبروا في الأرض، وأصرّوا على ذلك، وما لهم من أثرٍ على عامّة الناس في مجتمعهم؛ فالناس على دين ملوكهم وكبرائهم.

دلالة لفظ ﴿سَوَاءٌ﴾ هنا:

﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوْعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَعِظِينَ﴾؛ فإنّا لا نرعى عمّا نحن عليه، قالوا ذلك على سبيل الاستخفاف، وعدم المبالاة بما خوّفهم به ﷻ⁽²⁾، فكان قصدهم من ذلك أنهم لن يستمعوا من هود ﷻ مهما قال، ومهما وعظ، أو أشار إليهم بالخير، وأطلعهم على أسباب النّجاة استكباراً منهم وإصراراً على الباطل.

بيان سبب
الخوف عليهم
من عذاب الله

المستكبرون
هم الذين
أنكروا الرّسالة
استكباراً وعناداً

التسوية
لعدم المبالاة
والاستخفاف

(1) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 19 / 106.

(2) الألوسي، روح المعاني: 10 / 108.

دلالة التعبير بالجار والمجرور ﴿عَلَيْنَا﴾:

انعدام أثر القول
فيهم وانتفاء
شعورهم به

قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا﴾، أي: سواءٌ عندنا، فلا أثر لكلامِك علينا، ولا قيمة لما تقول من الوعد والنصح والتخويف، فلا قيمة لذلك كله، وما ذاك إلا لانتفاء شعورهم بقيمة ما يُقال لهم، وهو الداء نفسه الذي خاطب نوح قومه طلباً في علاجه، فقال: ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾، والشعور يتأتى من وقفةٍ مع النفس ومراجعةٍ بانفرادٍ، لكنهم لا يشعرون.

غرض الاستفهام في قوله: ﴿أَوْعَظْتَ﴾:

تسوية الوعد
من عديمه

الهمزة في قوله تعالى: ﴿أَوْعَظْتَ﴾ حرفٌ تسوية، فتستوي عندهم الموعظة الحسنة من عدمها، وقولهم: ﴿أَوْعَظْتَ﴾: الهمزة للاستفهام وفعلٌ ماضٍ وفاعله، ﴿أَمْ﴾: حرف عطف، ﴿لَمْ﴾: جازمة، ﴿تَكُنْ﴾: مضارع ناقص مجزوم بـ ﴿لَمْ﴾، واسمها محذوف ﴿مِنْ الْوَاعِظِينَ﴾ متعلقان بخبر ﴿تَكُنْ﴾، وهمزة التسوية وما بعدها في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر⁽¹⁾، ومعناه أَنَّ أقوالك وإن سُمعت، لكنها لا تدخل قلوبنا، ولا تعيها عقولنا، ولن ينفع قولك شيئاً.

سر اختيار لفظ (الوعظ) مادة وصيغة:

في قوله: ﴿أَوْعَظْتَ﴾ دلت صيغة الماضي على احتمال الماضي والاستقبال؛ وذلك إذا جاء بعد همزة التسوية؛ إذ يُحتمل أن يكون المراد: ما كان منك من وعظٍ، أو ما سيكون لاحقاً.

ذكر معادل ﴿أَمْ﴾ في الآية:

الامتناع التام
عن قول الرسول

في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾، ﴿أَمْ﴾: حرف عطف معادل للهمزة، وجاءت ﴿أَمْ﴾ المتصلة بعد همزة التسوية الواقعة بعد ﴿سَوَاءٌ﴾ في ست آيات، منها قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ

(1) الدعاس، إعراب القرآن: 2/ 392.

أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ⁽¹⁾: والقضاء على فرصة الشعور الداخلي والتفكير بما يقوله رسولهم.

سرّ العدول في قول تعالى: ﴿أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾:

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ جملة وقعت موقع: (أم لم تعظ)⁽²⁾، فلم لم يذكر ما هو أخصر، والجواب اختلاف المعنى بين الجملتين؛ لأنَّ المراد: (سواءً علينا أفعَلْتَ هذا الفعل الذي هو الوعظ؛ أم لم تكن أصلاً من أهله ومباشره؟) فهو أبلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك: أم لم تعظ⁽³⁾، فعدلوا عن (أم لم تعظ) الذي يقتضيه الظاهر للمبالغة في بيان قلة اعتدادهم بوعظه ﷺ، وقيل: في وجه المبالغة بقولهم إفادة معنى: سواءً علينا أوعظت أم استمرَّ انتفاء كونك من زمرة من يعظ انتفاء كاملاً، بحيث لا يرجى منك نقيضه⁽⁴⁾.

البالغة في
التقليل من شأن
هود ﷺ

غرض التعريف باللّام في قوله: ﴿الْوَاعِظِينَ﴾:

دلّ التعريف في قوله: ﴿الْوَاعِظِينَ﴾ على العموم لإرادة الاستهانة بمكانة الرسول؛ إذ إنَّ الرسول الواعظ ليس كأَيِّ واعظٍ، وإنَّما منه يأتي التشريع، وهو يأتي بموعظته من عند الله تعالى فما يقوله أمرٌ مباشر من عند الله، وما هو بوعظ يُقبل أو يُترك.

الرَّسُولُ هو
مصدرُ التشريع
ومحطُّ الرِّسالة

غرض حذف متعلّق قوله: ﴿الْوَاعِظِينَ﴾:

عادل ﴿أَوْعَظْتَ﴾ بقوله: ﴿أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾، وإن كان قد يعادله: (أم لم تعظ)، كما قال: سواءً علينا أجزعنا أم صبرنا لأجل الفاصلة⁽⁵⁾، وحذف متعلّق الواعظين كذلك أفاد عدم الاكتراث بطبيعة ذلك الوعظ وعدم السَّماع له.

سرُّ الفاصلة في
الحذف

(1) العكبري، التبيان في إعراب القرآن: 2 / 999.

(2) عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم: 1 / 388.

(3) أبو حيان، البحر المحيط: 8 / 180.

(4) الألوسي، روح المعاني: 10 / 108.

(5) أبو حيان، البحر المحيط: 8 / 180.

المقابلة بالوعظ وعدمه:

دلَّت المقابلة في قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ على شمول جميع حالاتهم، وتساويها في رفض كل دليل أو آية؛ تعنتاً منهم، وتغيير شق النفي عما تقتضيه المقابلة؛ للمبالغة في قلة اعتدادهم بوعظه؛ وأفادت المقابلة معنى التَّحْدِي والتَّعْنُت، فاستحقوا العذاب⁽¹⁾.

دلالة اسم الفاعل على الاستقرار:

قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾، فإنَّ ذِكْرَ اسم الفاعل يدلُّ على استقرار الأمر وثبوته، بخلاف الفعل الماضي؛ فإنه يصدق بمرّة واحدة⁽²⁾، فدلَّ على أنَّ كثرة الوعظ من هود ﷺ لن تُجدي نفعاً فيهم، أو أثراً في نفوسهم، وإنما أتى في الآية بالجملة الثانية اسمية لأن الفعل يُشعر بالحدوث⁽³⁾.

جناس الاشتقاق في ﴿أَوَعَضْتَ﴾ و﴿الْوَاعِظِينَ﴾:

أفاد جناس الاشتقاق بين ﴿أَوَعَضْتَ﴾ و﴿الْوَاعِظِينَ﴾ التَّهْوِينَ من شأن الرِّسالة وما جاء به هود ﷺ من الوحي؛ إذ إنَّه لا يخرج عندهم عن أقوال وعظيمة؛ هم في غنى عنها، ولن تنفعهم شيئاً، بحسب ما يرون في أنفسهم من العلم والفهم والقوَّة والسَّطوَّة.

❁ الفروق المُجَمَّية:

البنون والأولاد:

الوَلَدُ: المَوْلُودُ، يُقال للواحد والجمع والصَّغِير والكَبِير، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ﴾ [النساء: 11]، ويُقال للمُبْتَنَّى: وَلَدٌ، قال: ﴿أَوْ نَتَّخِذْهُ وَلَدًا﴾ [القصاص: 9]، قال أبو الحسن: "الوَلَدُ: الابن والابنة،

شمول جميع
حالاتهم إصراراً
واستكباراً

استقرار حالتهم
على عدم قبول
دعوة نبيهم

الاستهانة
بالوحي
والرِّسالة

البنون للذكور،
والأولاد للذكور
والإناث

(1) البضاوي، أنوار التنزيل: 4 / 146.

(2) الأنصاري، إعراب القرآن العظيم، ص: 292.

(3) السمين الحلي، الدر للصون: 5 / 538.

وَالْوَلَدُ هُمُ الْأَهْلُ وَالْوَلَدُ⁽¹⁾، والفرق بين الابن والولد: أَنَّ الابن يفيد الاختصاص ومداومة الصُّحبة، والأوَّل للذكر، والثاني يقع على الذكر والأنثى، والنَّسل والذُّرِّيَّة يقعان على الجميع⁽²⁾.

الخوف والخشية:

الْخَوْفُ تَوْقُعُ الضَّرَرِ الْمَشْكُوكِ فِي وَقُوعِهِ، وَمَنْ يَتَيَقَّنُ الضَّرَرَ؛ لَمْ يَكُنْ خَائِفًا مِنْهُ، وَالْحَذَرُ تَوْقِي الضَّرَرَ، وَسَوَاءٌ كَانَ مَظْنُونًا أَمْ مُتَيَقَّنًا، وَالْحَذَرُ يَدْفَعُ الضَّرَرَ، وَالْخَوْفُ لَا يَدْفَعُهُ، وَلِهَذَا يُقَالُ: خُذْ حَذَرَكَ، وَلَا يُقَالُ: خُذْ خَوْفَكَ⁽³⁾، وَالْخَشْيَةُ: خَوْفٌ فِيهِ تَعْظِيمٌ لِلْمَخْشِيِّ مِنْهُ، وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ ذَلِكَ عَنْ عِلْمٍ بِمَا يُخْشَى مِنْهُ، وَلِذَلِكَ خَصَّ الْعُلَمَاءُ بِهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾⁽⁴⁾ [فاطر: 28].

الْخَشْيَةُ خَوْفٌ
فِيهِ تَعْظِيمٌ
لِلْمَخْشِيِّ مِنْهُ

(1) الزاغب، المفردات، ص: 883.

(2) الزاغب، المفردات، ص: 12.

(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 240.

(4) الزاغب، المفردات، ص: 12.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والثلاثون،
سورة الشُّعْرَاء من الآية 96 إلى سورة النَّمل الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446 هـ - 2024 م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024 م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعْرَاء من الآية 96 إلى سورة النَّمل الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 39، 800 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-732-84-6

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 39: المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعْرَاء من الآية 96 إلى سورة النَّمل الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-84-6

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-8468153 بتاريخ 2024/12/16 م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»